

الحضارة الصينية

تاريخ الصين:

نشأت الحضارة الصينية على طول خطّ قرى النهر الأصفر ونهر يانغتسي في العصر الحجري الحديث، ولذلك يقال إنّ النهر الأصفر هو مهد الحضارة الصينية، فمع آلاف السنوات من التاريخ المستمر، تعد الصين واحدة من أهم الحضارات القديمة في العالم، ويمكن العثور على تاريخ الصين المكتوب في وقت مبكر من مملكة شانغ حوالي 1700 - 1046 قبل الميلاد، رغم أن النصوص التاريخية القديمة مثل سجلات المؤرخ الكبير حوالي 100 قبل الميلاد وحوليات الخيزران تؤكد تواجد أسرة شيا قبل شانغ، وقد تطور قدر كبير من ثقافة الصين وآدابها وفلسفتها بشكل أكبر أثناء مملكة تشو 1045-256 قبل الميلاد،

الحضارة الصينية:

هي واحدة من أقدم حضارات العالم، وتمتدّ بأصولها لآلاف السنين، وقد هيمنت الحضارة الصينية على منطقة جغرافية شاسعة في شرق آسيا حيث تختلف العادات والتقاليد بشكل كبير ما بين المحافظات والمدن وحتى البلدات أيضًا، وباعتبار الصين واحدة من الحضارات المبكرة الأولى، يُلاحظ الحضارة الصينية متباينة ومختلفة بشكل كبير، ويظهر تأثيرها العميق في كثير من الجوانب، من أهمها الفلسفة والفضيلة والإتيكيت والتقاليد، وذلك في مجمل آسيا وحتى اليوم.

تعدّ الحضارة الصينية هي الحضارة المهيمنة في شرق آسيا، وكانت أيضًا الحضارة ذات التأثير الأكثر سيادة في المنطقة، وقد وضعت الأساس الثقافي لحضارة شرق آسيا، مثل اللغة والخزف وفن العمارة والموسيقى والأدب والفنون القتالية، إضافةً إلى المطبخ والفنون البصرية والفلسفة والأسس الاقتصادية والديانة، وحتى السياسة والتاريخ الصيني كان لهما أثر كبير على العالم، كما أن التقاليد والمهرجانات الصينية تُمارس ويُحتفى بها أيضًا من قبل الشعوب في جميع أنحاء آسيا. والجدير بالذكر أن هناك 56 مجموعةً عرقيةً معترف بها رسميًا في الصين، ومن بين كل هذه الأرقام تعد قومية "هان" من أكبر

المجموعات، وعلى مر التاريخ كانت الكثير من المجموعات تندمج في الأعراق المجاورة أو تختفي، إن الهوية التقليدية داخل المجتمع لها علاقة بشكل كبير بتمييز اسم العائلة، تغطي الثقافة التقليدية الصينية أقاليم جغرافية كبيرة حيث أن المناطق مقسمة إلى ثقافات فرعية مستقلة، وغالبًا ما تمثل كل منطقة ثلاثة مواضيع مستمدة من الأسلاف.

الفنون في الحضارة الصينية:

تأثرت مختلف الأشكال من الفن في الحضارة الصينية بالفلاسفة العظماء والمدرسين والشخصيات الدينية وحتى الشخصيات السياسية، ويشمل الفن الصيني جميع أنواع الفنون الجميلة والفنون التطبيقية وفنون الأداء، كما كانت صناعة الفخار الصيني الشهير أحد أشكال الفن الأولى في العصر الحجري، وقد تأثرت الموسيقى والشعر الصيني المعاصرين بكتاب الأغاني للشاعر ورجل الدولة الصيني تشو يوان، كما يحظى فن الرسم الصيني بتقدير كبير في دوائر المحكمة، والتي تشمل مجموعة متنوعة واسعة من ولاية "شان شوي" مع أنماط المتخصصة مثل اللوحة "أسرة مينغ"، استندت الموسيقى الصينية المعاصرة على القرع على الآلات الموسيقية التي وهبتها مؤخرًا للآلات الوترية وآلات القصب والمزمار، كما أصبح فن قص الورق في عهد سلالة هان شكل من أشكال الفن الجديد بعد اختراع الورق، أخيرًا قدمت الأوبرا الصينية وتشتعت إقليميًا بإضافتها إلى أشكال الأداء الأخرى مثل الفنون المتنوعة.

العلوم في الحضارة الصينية:

إن إسهامات الحضارة الصينية في العلم والتكنولوجيا والفكر العلمي تتوقف على الفترة التاريخية المأخوذة منها، ففي العصور الوسطى والقديمة كانت الإسهامات عظيمة الأهمية، ولكن طبيعتها تغيرت بعد وصول المبشرين إلى الصين في القرن السابع عشر، وصارت تندمج في الكيان الشامل للعلم الذي وأصل تطوره في القرون اللاحقة، وقبل وصول المبشرين كان العلم الصيني شبه تجريبي، لكن الجوانب النظرية كانت أقل تطوراً، ومع ذلك نجح الصينيين في سبق الإغريق في بعض المكتشفات العلمية، كما تمكنوا من مواكبة الحضارة الإسلامية، ومن أهم اختراعات الحضارة الصينية كانت المعداد، "ساعة الظل"، والأربعة اختراعات العظمى: البوصلة، البارود، صناعة الورق، والطباعة، وقد كانت من بين أهم التطورات التكنولوجية، قبل نهاية سنة 1000 م في العصور الوسطى. على أنه لا يمكن وصف الصينيين

بأنهم من الأمم النشيطة في ميدان الاختراعات الصناعية رغم اختراعهم البوصلة والبارود والطباعة والخزف، فقد كانوا مخترعين في الفنون، وقد ارتقوا بها في صورها التي ابتدعوها حتى بلغت درجة من الكمال لا نظير لها في غير بلادهم أو في تاريخهم، ولكنهم ظلوا حتى عام 1912م قانعين بالجري على طرقهم الاقتصادية القديمة، ويحتقرون الأساليب والحيل التي تغني عن العمل الشاق وتضاعف ثمار الجهود البشرية، وتعطل نصف سكان العالم لتزيد من ثراء النصف الآخر، كأنهم في احتقارهم هذا كانوا يتنبؤون بما تجره هذه الاختراعات على البشر من شرور حسب وجهة نظرهم.

الأساطير الصينية:

تعدّ الحضارة الصينية "جنة المؤرخين"؛ ذلك أن لها مؤرخين رسميين يسجلون كل ما يقع فيها منذ آلاف السنين، كما سجلوا كثيرًا مما لم يقع، ولهذا لا يوثق بأقوالهم عن العهود السابقة لعام 76 ق. م، إلا أن هذه الأقوال تحكي أحاديث مفصلة عن تاريخ الصين منذ 3000 ق. م، كما أن أكثرهم تقىً وصلاً يصفون خلق العالم كما يفعل المطلعون على الغيب في هذه الأيام، ومن أقوالهم في هذا أن "بان كو" أول الخلائق استطاع أن يشكل الأرض حوالي عام 2.229.000 ق. م، بعد أن ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر ألف عام، وتجمعت أنفاسه التي كان يخرجها في أثناء عمله فكانت رياحًا وسحبًا، وأضحى صوته رعدًا، وصارت عروقه أنهارًا، واستحال لحمه أرضًا، وشعره نبتًا وشجرًا، وعظمه معادن، وعرقه مطرًا؛ أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت آدميين.

وتقول الأساطير الصينية إن الملوك الأولين حكم كل منهم ثمانية عشر ألف عام، وأنهم جاهدوا أشق جهاد ليجعلوا من قمل "بان كو" خلائق متحضرين، وتقول لنا هذه الأساطير أن الناس "كانوا قبل هؤلاء الملوك السماويين كالوحوش الضارية يلبسون الجلود ويقتاتون باللحوم النيئة، ويعرفون أمهاتهم، ولكنهم لا يعرفون آباءهم".

الأدب الصيني:

الأمة الصينية أمة عريقة، تمتلك تاريخاً مكتوباً يمتد إلى أربعة آلاف سنة، كما عرفت حضارة من أقدم الحضارات في العالم، ويمثل الأدب الصيني أحد أبرز ملامح تلك الحضارة، ويقسم تاريخه إلى: الأدب القديم، الأدب الحديث، والأدب المعاصر.

الأدب القديم:

هو أدب الفترة الممتدة حتى حرب الأفيون عام 1840، ويقسم إلى:

1. أدب ما قبل تشين: تعبير يحدد أدب الفترة الممتدة حتى أسرة تشين (207.221 ق.م)، ويحتل المكانة الأولى في نشأة الأدب الصيني وتطوره. نشأ في المجتمع البدائي ومجتمع العبودية وبدايات المجتمع الإقطاعي، وعبر بشكل تصويري عن الملامح الفكرية والحياة الواقعية لإنسان تلك المجتمعات. بدأ النشر الصيني مع تطور الكتابة الصينية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويمكن عدّ الكتابة الكهنوتية، وهي نقوش نحاسيات أسرة شانغ (القرن 11.17 ق.م) ومطلع أسرة تشو (221 ق.م)، ورموز التنجيم في «كتاب التحولات»، وبيانات تشو و ين في «كتاب التاريخ»، بدايات النشر الصيني. يعد «كتاب الأغاني» بداية الأدب الصيني القديم، وله أثر كبير في الأدب العالمي. ومن أهم الأعمال النثرية «حوليات الربيع والخريف» و«كتاب الحوار». أما أبرز القصائد في حقبة الممالك المتحاربة فهي «قصائد تشو» لشاعر الصين الأكبر تشو يوان (278.340 ق.م)، وهي قصائد غنائية رومنسية طويلة.

2. أدب تشين (207.221 ق.م) وهان (206 ق.م. 220 م): يعد أدب تشين وهان المرحلة الثانية في تاريخ تطور الأدب الصيني القديم. ومن أبرز كتاب هذا النوع من النشر جيا إي (169.201 ق.م)، تشاو تسو (154.200 ق.م). كما ظهر في هذه المرحلة نوع أدبي جديد يُعرف بـ «فو»، وهو نثر مقفى شديد الشبه بالمقامات مثل «تعليق على مقامات تشو يوان» و «حواريات الطير والبوم» ل جيا إي.

3. أدب وي، جين، والأسر الشمالية والجنوبية: وتمتد هذه الحقبة ثلاثمئة وتسعاً وستين سنة (220 م. 589 م).

4. أدب تانغ: هو الأهم بين أدب سلالة سوي (618.581) وأدب الممالك الخمس (960.907).

5. أدب سونغ: احتل الشعر والنثر مكانة مهمة في أدب سونغ (1279.960)، فقد تمثل الموروث الأدبي للعصور السابقة، وانفرد بخصائص مميزة، وتراوح بين التقليد والتجديد، وتعددت مدارس وتتنوع أساليبه.

6. أدب يوان: يمتد عصر يوان بين عامي (1368.1271) وهو العصر الذهبي للأوبرا الصينية. والأوبرا فن مركب يتألف من تصافر عدة فنون، منها الغناء والحوار والتمثيل والرقص. ورثت الأوبرا فن الموشحات الصيني، وأفادت من اللغة الشعرية.

7. أدب مينغ: أسس تشو يوان تشانغ أسرة مينغ (1644.1368) وكانت عاصمتها نان جينغ ثم بكين، واهتمت بالعلوم والرياضيات والفلك والري. أما على الصعيد الأدبي فقد تراجع الشعر وتقدمت الرواية والقصة والمسرحية. من أهم الروايات «الممالك الثلاث»، «الضفة»، «رحلة إلى الغرب»، «جين بينغ مي». ومن أهم المسرحيات «مقصورة الفوانيا».

8. أدب تشينغ:

ظهرت مدارس أدبية عديدة في هذه المرحلة، لكل منها خصائصها المميزة، فكانت «المدرسة الرومنسية» في البداية ومن روادها وانغ شي تشن (1711.1634)، ثم «مدرسة سونغ» ومن روادها تشا شن شينغ، وبعدها «مدرسة الأسلوب» ومن كتابها شن دي تشيان، «مدرسة جي لي» ومن كتابها ونغ فانغ فانغ (1818.1733). وعلى صعيد النثر ظهرت مدارس أدبية بحسب المناطق، ومن تلك المدارس «مدرسة تونغ»، «مدرسة يانغ هو».